Journal of Humanitarian and Applied Sciences - مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
(رقم الإيداع المحلي 95 / 2020) - (ISSN: 2706- 9087) - (معامل التأثير العربي شهادة رقم: 472 - 2020)
كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جـامعة المرقب
Volume 8 – Issue 15 المجلد 8 العدد 15

النقوش والرسوم الصخرية مصدراً لصفات القبائل الليبية القديمة

د.عبدالسلام محمد علي قويدر
أستاذ مساعد/ قسم التاريخ
كلية التربية ترهونة/ جامعة الزيتونة
البريد الالكتروني : *Abedsalam64@yahoo.com*

Received: 20/04/2023	Accepted:15/05/2023

Abstract

The research aims to discuss the ancient link between the ancient Libyan tribes, and those signs and symbols that appeared through ancient rock inscriptions and drawings at many sites, that became features associated with these tribes and spread to documents and texts from the countries of the Nile, and they were the object of many interpretations and opinions. They are signs and symbols that we rarely find when it comes to other human groups, in which the existential dimension was linked to the anthropological dimension. The research, however, re-examines these dimensions to try to reach at that connection by locating these cave inscriptions and drawings, and the temporal parallels between inscription and drawing, and how they are related, in addition to knowing what type of civilizations these engravings and drawings express, and clarifying the cultural theme of the research area.

ملخص البحث

يهدف البحث لمناقشة الارتباط القديم بين القبائل الليبية القديمة، وتلك العلامات والرموز التي ظهرت من خلال النقوش والرسوم الصخرية القديمة في الكثير من المواقع، وأصبحت صفات ملازمة مع هذه القبائل، وامتدت لوثائق ونصوص بلاد النيل، وهي علامات ورموز قلما نجدها عند مجموعات بشرية أخرى، وارتبط فيها البعد الوجودي بالبعد الأنثروبولوجي، ومنها يعيد البحث مراجعة تلك الأبعاد ومحاولة الوصول لذلك الارتباط من خلال تحديد مواقع هذه النقوش والرسوم الصخرية، والمتوازيات الزمنية بين النقش والرسم، وكيفية الارتباط بينهم، بالإضافة لمعرفة أي نوع من الحضارات التي تعبر عنها هذه النقوش والرسوم وإيضاح المسألة الثقافية.

الكلمات الافتتاحية: القبائل الليبية – النقوش – الرسوم – الريشة – الجديلة – قراب العورة – الوشم

المقدمة

تشكل النقوش والرسوم الصخرية صفحة من صفحات التاريخ الليبي القديم، وهي تعطي الدليل على استيطان بشري مر بمراحل سبقت تدوين التاريخ، وأصبحت مصادر للمعلومات لا يمكن الاستغناء عنها لكل من يرغب في البحث والكتابة عن تاريخ الصحراء الكبرى والقبائل الليبية القديمة، وهي بطبيعة الحال تندرج تحت الظاهرة العالمية، فقد وجدت في الكثير من المواقع المنتشرة في أنحاء العالم، فكان منها ما هو منقوش على المسطحات الجدارية، ومنها ما هو أفقي على سطح الأرض، وتمثل شواهد أثرية جسدت حياة الإنسان القديم.

وقع الاختيار على هذا الموضوع لظهور علامات ورموز (الريشة، الوشم، الجديلة، قراب العورة) لازمت القبائل الليبية القديمة وأصبحت صفات تميزت بها، وكانت محط جدال بين الكثير من الباحثين، وتفسيراتهم لها، مما تطلب من الباحث السعي للوصول لمدي ارتباطها بالماضي .

أهمية البحث :

تأتي الأهمية متضمنة التعرف علي تلك الصفات ومدلولاتها التي ظهرت في وثائق ونصوص بلاد النيل، منذ دهور سبقت تدوين التاريخ، وامتدت معرفتها على مسار العصور التاريخية الحاضرة.

إشكالية البحث:

تكمن أساساً في الجذور القديمة لهذا العلامات والرموز التي ظهرت في النقوش والرسوم الصخرية وانتشرت في الكثير من المواقع بالصحراء، ومدى ارتباطها بالقبائل الليبية القديمة ليجعل ضرورة البحث عن مصداقية هذا الارتباط القديم شيء أساسي لإثبات هذه الصفات.

تساؤلات الدراسة:

1) كيف أظهرت الاكتشافات الأولية النقوش والرسوم الصخرية ؟
2) هل كانت هناك متوازيات زمنية بين النقش والرسم القديم؟
3) كيف ارتبطت النقوش والرسوم بالقبائل الليبية القديمة؟
4) عن أي نوع من الحضارات تعبر هذه النقوش وما صاحبها من رسوم؟
5) هل يمكن إيضاح المسألة الثقافية للمنطقة من خلال هذه النقوش والرسوم ؟

فرضية البحث :

تكمن فريضة هذا البحث (بما تتمثل العلامات والرموز التي اقترنت بالقبائل الليبية القديمة وأصبحت جزأ أساسياً لمعرفتهم)

الإطار التاريخي :

يحدد هذا الإطار من خلال تلك المعطيات (النقوش والرسوم) التي ترتبط بحياة الإنسان في الصحراء الكبرى منذ دهور ما قبل التاريخ، واستمرار ذكرها في وثائق ونصوص بلاد النيل فيما بعد.

منهج البحث:

اتبع هذا البحث المنهج التاريخي الذي يعتمد على التحليل واسترجاع أحداث تلك النقوش والرسوم الصخرية، وعمل مقارنات، وربطها بالمستحدثات (الاكتشافات الحديثة) من أجل الوصول لاستنتاجات نستطيع من خلالها التحقق من الفرضية.

الإطار الجغرافي :

يرتبط بتلك الرقعة الجغرافية التي تحدثت عنها المصادر التاريخية القديمة، وفق تقسيمات الصحراء الكبرى الغربية والليبية والنوبية، وهى مساحة شاسعة ينحصر البحث فيها على تلك المواقع التي تواجد فيها الإنسان الليبي القديم وما خلفه من آثار أصبحت سجل لحضارته.

مواقع النقوش والرسوم الصخرية

بدأت الرحلات الاستكشافية بالمواقع التي وجد فيها النقش والرسم الصخري في مناطق الصحراء الليبية التي تعتبر جزء من الصحري الكبرى مع رحلة هنريتش بارت (Heinrich Barth) عام 1850 م لمنطقة فزان واطلع على تلك النقوش والرسوم الصخرية التي كانت بموقع وادي تليزاغن (Tilissaghen) (وادي البرجوش) وتقديم وصف لهذه النقوش، واتبعه بعد زمن

فروبينيوس (Frobeniu) في عام 1932م، وتوالت بعد ذلك الرحلات فكان لكورادو زولي(Corrado Zoli) الزيارة الأولى عام 1914م لموقع وادي الآجال فقد عثر به على بعض النقوش التي نسبت جميعها إلى أدوار ما قبل التاريخ.(موري، 1988، ص25)

وأيضاً الرحلة التي قام بها باول جراتسيوسي (P. Graziosi) لمنطقة الأورير(El Aurer) 1962م حيث عثر تحت الرمال على نقوش لبعض الحيوانات، بالإضافة لرجل يصفه بأنه مرتدي غطاء رأس وعليه زيادتين يشبهان القرون ويلف خصره بمئزر وهو في حالة إطلاق سهمه.(جراتسيوسي، 2008،ص 36)

ويلاحظ أن هذه النقوش والرسوم الصخرية كانت في مجملها بجوار مجاري الوديان، التي توصف بعضها بأنها عميقة وعريضة مما يرجح أنها في فترات قديمة كانت أنهاراً قد خلفت وراءها أبار وواحات انتشرت بالصحراء الكبرى خلال فترات متعاقبة، وهو ما يشير إليه وجود تلك الحيوانات التي تحتاج لوفرة المياه وجسدها الإنسان القديم في تلك المواقع على جدران الكهوف والمغارات. (ويللارد،1967،ص27)

موقع جبال الأكاكاس (Akakus)

هي عبارة عن سلسلة جبلية تقع في أقصى الجنوب الغربي للأراضي الليبية بتقسيمها الحالي، بالقرب من حدود الجزائر، ويبلغ ارتفاعها الألف متر تقريباً،(الفقي، 2010، ص 60) وهي حالياً أرض صحراوية ذات كثبان شاهقه وتشكيلات صخرية هائلة وأقواس خشنة، ووديان حادة، وجبال منتصبة، (موري،1988،ص ص 37.31) وقد اكتَشِف بهذه الجبال وما تحتويه من ملاجئ بقايا الحجر الجيري التي تعتبر من أقدم الأدلة على أن هذه البيئة كانت تتمتع بمناخ رطب، (M .Cremaschi, and S.Lernia,1999, p215) وبها مئات النقوش والرسوم الصخرية،(شكل1-2)وبعض القطع الفخارية والعظمية(شكل 3-4)التي تعود إلى حوالي سبعة آلاف سنة ق.م تقريباً، كما اكتشفت بحيرة (ميجا فزان) وهي عبارة عن مسطح مائي يرجع حسب التقديرات إلى 450ألف سنة.(وينتر،2015،ص8)

شكل1 نقوش لثلاث زرافات، أكاكاس
عن، موري، 1979،ص 164

شكل2 رسوم لأشكال، أكاكاس دور الرؤوس المستديرة
عن موري 1979 ،ص160

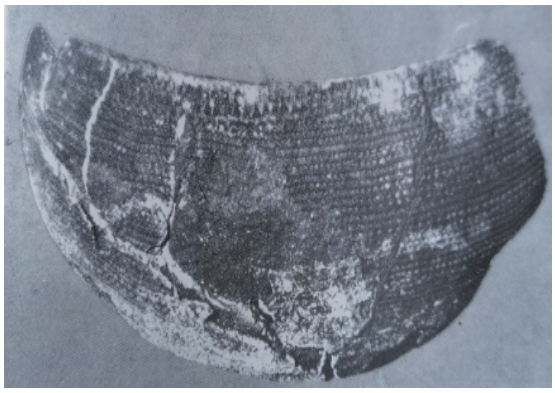

شكل3 قطع فخارية مزخرفه، شرق تين
عن، باريش، 1979،ص138

شكل4 مصنوعات عظمية ، وان موهجاج
عن، موري،1979، ص224

ولعله من المفيد القول أن موقع جبال الأكاكاس يعتبر من أهم مواقع الفن الصخري في الصحراء الكبرى، وكان موري Mori من أوائل المستكشفين عام1952م فقد وجد بالقرب من موقع تين لالان أول هذه النقوش، وتوالت رحلاته وقام بتوثيق المئات من النقوش والآلاف من الرسومات،(موري، 1979،ص157) ووضع تسلسل تاريخي مؤقت للفن الصخري في ليبيا شمل خمسة أدوار رئيسة أصبحت فيما بعد المرجعية التاريخية لهذه العصور.

جبال تأسيلي Tassili

بدأت الدراسات الاستكشافية في هذا الموقع عن طريق هنري لوت (Henri Lhote) في عام 1956م، حيث قام بعملية استنساخ للكثير من النقوش والرسوم التي تحوي مناظر آدمية وحيوانية،(شكل 5)بالإضافة لكشفه عن العديد من اللقى الأثرية التي ترجع لدهور ما قبل التاريخ. وقد ذكر في نتائجه أن هذه المنطقة حدد لها زمناً تاريخياً لا يختلف كثيراً عن التاريخ الذي حدده موري في سلسلة جبال أكاكاس، وذكر بأنها ترجع إلى أربع فترات رئيسة: فترة صيادي البوبالوس (Bubalus)، ثم فترة مربي الماشية، وبعدها فترة الرعاة، لتنتهي بفترة الجمال.(الفقي، 2010، ص62)

شكل5 رسومات جبال تاسيلي عن/ www.rougemagz.comتاريخ الاطلاع 12-12-2015، الساعة 30-11

ولابد من الإشارة إلى أن أغلب لوحات الفن الصخري في هذه المنطقة ترجع إلى نهاية دور الرعاة، التي أمكن من خلالها جمع معلومات وتكوين أفكار عن الإنسان الذي عاش في هذه المنطقة خلال فترة زمنية معينة. (الفقي، 2010، ص62)

إن ما أظهره هذا الفن، وما وجد من نقوش ورسوم هي من حيث الزمن الكرونولوجي (Chronology) أقدم من تلك التي وجدت في بلاد النيل، (موري، 1979،ص157) وإذا ما اتفقنا مع هذا التفسير فإن هذه العلامات والرموز التي دونت في وثائق ونصوص بلاد النيل كانت متاصلة عند هذه القبائل الليبية القديمة التي يعتقد بأنها هاجرت لمنطقة الشمال الإفريقي بعد عملية التصحر التي انتابت مناطق استقرارهم الأولي وانتقلت معهم.

وإذا ما نظرنا إلى تلك المناظر التي جاءت في وثائق ونصوص بلاد النيل وخاصة التي نسبت لعهد الأسرات منها على سبيل المثال مقبض سكين جبل العركي ولوحة الأسد والعقبان فيصعب القول بأن تلك النقوش الآدمية التي عليها من العنصر الليبي؛ لأنها لا توجد عليها تلك الصفات التي كانت لليبيين القدماء ومنها الريشة والوشم والجديلة ماعدا قراب ستر العورة وهو موجود لدى العديد منهم .

j. Awainat جبل العوينات

يقع هذا الجبل في الجنوب الشرقي من الأراضي الليبية بالمنطقة الحدودية بين (بلاد النيل، ليبيا القديمة، ، بلاد النوبة)، ويبلغ ارتفاعه حوالي 1934 متراً فوق مستوى سطح البحر تقريباً. وقد كان من أوائل رواد الاكتشاف لهذا الموقع ليوفربنيوس (Leoferpnius) عام 1934م فقد وثق العديد من لوحات الفن الصخري في هذا الجبل خاصةً في المكان المسمى قرقور، وفي عام 1968 – 1969م كان دور البعثة البلجيكية التي استكشفت هذا الجبل، واستطاع ليونارد (Leonard) في عام 1969م. نشر نتائجها. (الفقي، 2010، ص62)

على الرغم من تنوع المواضيع التي عبرت عنها النقوش والرسوم التي وجدت بموقع جبل العوينات،(شكل 6) إلا أنها لم تسجل وجود حيوانات استوائية، وبالتالى، فإن هذا الموقع لا يمثل الدور الأول من أدوار الفن الصخري(دور الحيوانات الاستوائية)، وكانت أغلب النقوش والرسوم للأبقار ذات قرون طويلة وأخرى قصيرة، وأغنام، وكذلك مناظر عمليات الصيد والكلاب.

شكل 6 رسومات جبل العوينات ليبيا عن/ www. Libyaalathar/photos/pcb تاريخ الاطلاع 2022/8/27 م الساعة6:30

وقد ذكرت الاكتشافات الأثرية في هذا الجبل بقسميها النقوش على الصخور والرسوم الملونة أن عملية الاستيطان قد تمت ما بين الألف السادس ق.م ومنتصف الأف الثانية ق.م، (عيسى،2012، ص5) وتكمن أهمية هذا الموقع في كونه نقطة التقاء وتواصل خلال تلك الفترة وما بعدها.

وتجدر الإشارة هنا أن فرانسيس فان نوتن (Francis Van Noten) قد أظهر في أحد كتاباته، أن سكان منطقة جبل العوينات كانوا على اتصال مع وسط الصحراء، وذلك خلال الأدوار المعروفة بدور الصيادين وكذلك دور الرؤوس المستديرة، في فترات تاريخية مبكرة، غير أن هذا الاتصال قد انقطع قبل وصول ما يعرف بمربي الماشية، ويرى من خلال ما نقش بهذه المنطقة (جبل العوينات) من نقوش تصور الأبقار بأنها كانت ذات أصالة واضحة تتميز بها عن بقية الصحراء، ويظهر ذلك من خلال اختلاف رسوم الأشخاص ونقوشهم، في كلا من جبل العوينات والصحراء. (نوتن،1979،ص119)

بالإضافة لتلك المواقع سابقة الذكر فقد وجد في المناطق الجنوبية من الأراضي الليبية وتحديداً في جبل الحساونة مجموعة من النقوش الصخرية التي استطاعت جمعية الحساونة لحماية البيئة أن تصورها من أجل توثيقها والمحافظة عليها، منها نقش يجسد الجعران(شكل 7) تحيط به بعض الأحرف والرموز، وهو من ضمن النقوش التي لم تتم دراستها إلى حد الآن، وهذا مما يمنح الفرصة أمام الباحث لمحاولة الاطلاع على النقش من خلال الصورة، ومن ثم، محاولة الوصول لأبعاده التي يعتقد بأنها قد كانت لدى سكان هذه المناطق ومدى تأثرهم بجيرانهم الشرقيين أصحاب الحضارة المصرية القديمة.

شكل 7 نقش الجعران عن/ جمعية جبل الحساونة لحماية البيئة الاطلاع بتاريخ 2015-11-28 الساعة 5.25

تظهر صورة هذا الجعران في جنوب ليبيا بصورة قريبة من تلك النقوش التي تظهر في بلاد النيل، ويعتقد بأن هذا النقش كان منذ فترات قديمة حيث وجدت بجواره على يسار النقش بعض الزمور تنتمي للكتابة الليبية القديمة (التيفيناغ)، كما أن وجود هذا النقش يدلل على معرفة سكان هذه الحضارة لهذا الكائن وقد يمثل لهم شيء مقدس. ويساند القول باستمرار عملية الالتقاء والتواصل بين القبائل الليبية القديمة وسكان بلاد النيل. وإن تلك العلامات والرموز هي مرتبطة بهذه القبائل.

العلامات والرموز وعلاقتها بالقبائل الليبية القديمة

ظهر اسم هذه القبائل(شكل 8) في وثائق ونصوص بلاد النيل منسوب لقبيلة الليبو القديمة، واستمر هذا الاسم (ليبيا) يتداول في المصادر اليونانية القديمة منذ القرن التاسع ق.م، إذ ذكر الشاعر اليوناني هوميروسHomerus مرتين في ملحمته الآديسيا

Odissea وتحدث عن قبائل اللوتافاجي (آكلة اللوتس) في موضعين آخرين، حيث أورد على لسان كلماخوس Callimacus ما يلي: " أولا قبرص رأيت، فينيقيا ومصر، ومن بعد ذلك بلاد العرب زرت والصيدونيين، والأثيوب، عند الكل بحثت عن ليبيا حيث النعاج تلد ثلاث مرات في دورة العام وفي أيام قليلة، تبرز القرون للخراف. هناك لا يشعر صاحب النعاج، ولا راعي القطيع بحاجة إلى اللحم أبدا ". (بازامة،1975، ص85)

شكل 8 رسم تخطيطي للقبائل الليبية في الوثائق والنصوص المصرية عن Oric Bates, op.cit. p.120.

ويبدو للباحث أن ما ذكره هوميروس على لسان كلماخوس بأن اسم ليبيا الذى ظهر خلال ذلك القرن كان معروفاً قبله بفترات طويلة، وبالرغم من عدم معرفة حدوده الجغرافية إلا أنه كان مذكور، لو كان هذا الاسم غير متداول خلال فترات طويلة ومتعاقبة لم يصل إلى كلماخوس وهوميروس الذى أكد معرفته بأن هذا الموطن تلد فيه النعاج ثلاث مرات خلال دورة العام.

كما جاء ذكر هذا الاسم مرة ثانية عند هوميروس اثناء حديثه عن آكلة اللوتس أو قبائل اللوتافاجي فى كتابه التاسع، وكذلك تكرر في كتابه الثالث والعشرين، حين ذكر بأن هذه القبائل كانت تعيش على ما تنتجه الأشجار من ثمار يجعلون منها شراباً، يجعل كل من يشربه ينسى وطنه وأهله ولا يفكر في العودة،(بازامة،1975، ص85) ويتضح من ذلك أن هذه القبائل كانت مستقرة في أماكن تواجد هذه الأشجار وكانت تنتظر في فترات نضج الثمار، ومن ثم قطفه وصناعته ليجعل منه شراباً يتذوقونه فيما بينهم، ويبدو أن هذا يدل على وجود أماكن استقرار دائمة لهذه القبائل.

والجدير بالذكر أيضاً وروده في الأسطورة اليونانية التي أوردها هيرودوت نقلاً عن سكان جزيرة ثيرا(الثيرانين) عندما بلغهم موحى دلفي بأن يقيموا مستوطنة في ليبيا بعد أن تلقى ملكهم غرينوس هذا الأمر وعمل على تنفيذه، غير أن الأشخاص الذين تم تكليفهم بهذه المهمة كانوا يجهلون ليبيا ليعودوا بعد ذلك لموحى دلفي ويأمرهم للمرة الثانية بالذهاب إلى ليبيا، لأنه يعرفها ويعرف أن بها قطعان كثيرة، (Herodotus,IV,150-151) من خلال سرد هذه الأسطورة يثبت بأن ليبيا كانت معروفة عند اليونانيين و لم تكن مجهولة.

واستمرار لما سبق جاء ذكر القبائل الليبية خلال القرن الخامس عندما وصف هيرودوت القبائل التي كانت تجاور بلاد النيل من ناحية الغرب بداية من قبيلة الأدورماخيداي حتي قبيلة الجرمنت في الجنوب. (Herodotus,IV,168-184)

ومما سبق فإن ذكر هذه القبائل والعلامات والرموز (قراب ستر العورة، الريشة، الوشم، الجديلة) التي صاحبة وجودهم قد وردت قديما في بعض صلايات بلاد النيل منها مقبض سكين العركي، ولوحة الأسد والعقبان، وبردية نفرو وهو، وقصة سنوهي، والملك بيي الأول، رمسيس الثاني ، مرنبتاح، باعتبارها المصادر الأولي التي ذكر فيها اسم الليبيين، (شكل 9-10-11) ومن الطبيعي أن هذه الصفات لم تكن وليدة مرحلة معينة و لم تنتقل لبلاد النيل خلال فترة زمنية محددة فهي إذن متأصلة، وهذا ما أثبته تلك الدراسات التي أجريت في مواقع عديدة بالصحراء الكبرى، فقد عثر على أحد جدران وادي إيكي (Ekki) مناظر مثلت الحياة اليومية التي كان يعيشها الإنسان القديم في أدواره المختلفة، وقد حاول العديد من الباحثين وضع تفسيرات لهذه اللوحات حيث ذكر من بين المناظر(شكل12-13) (موري، 1988،ص ص 170-171)أربعة أشخاص يشتركون في رقصة يتجهون جميعهم في اتجاه واحد وحركتهم الإيقاعية أيضاً واحدة ووضعياتهم متساوية، وأن على رأس كلا منهم زوائد طويلة وتتدلى من إحداهما شرائط متعددة، كما يحمل كل واحد منهم جراباً يتمنطق به لإخفاء العضو التناسلي، بالإضافة إلى تلك الزوائد الذيلية التي ميزت الثلاثة الآخرين.(موري،1988،ص110)

شكل 9 لوحة للملك رمسيس الثاني هو يطعن بحربته أحد القادة الليبيين

عن، محمد رافت عباس، مرجع سابق، ص 224

شكل 10 رسم تخطيطي للوحة الملك سيتي الأول معبد الكرنك

عن، محمد رأفت عباس، مرجع سابق، ص 162

شكل 11 صلاية الملك العقرب وفيها علامة أحد قبائل الليبيين ، متحف القاهرة تصوير الباحث 9.11.2016

وتجدر الإشارة إلى أن ما ذكر في الفقرة السابقة، وغيرها من اللوحات يكون دليل على تأصل هذه العلامات والرموز واستمرارها عند هذه القبائل وأصبحت من عاداتهم وتقاليدهم وبمرور الزمن تميزوا بها، وانتقلت معهم اثناء هجرتهم إلى الشمال والشرق والغرب وأثروا وتأثروا مع جيرانهم، وهذا يلاحظ في العديد من اللوحات، فقد تم العثور على لوحة في وادي ماتخندوش عليها منظر لرجلين برأس ابن آوى، وأيضا في وادي الأورير وجدت أشكال بشرية برأس ابن آوى، ووجود هذه المناظر في هذه المواقع وبالفترات الزمنية متواصلة يدعو إلى القول بأن عملية التواصل كانت موجودة منذ فترات قديمة، وأن ما تحدثت عنه الوثائق والنصوص في بلاد النيل بخصوص صفات الليبيين القدماء هو راجعا لهذا التواصل القديم وتجدر هذ الصفات لديهم.

شكل12 رسومات ادمية عن، موري،1988، ص170

شكل13 رسومات ادمية عن، موري،1988، ص171

وإذا ما رجعنا إلى ذكر القبائل الليبية القديمة في وثائق ونصوص بلاد النيل، نجدها تذكر قبائل التحنو والتمحو والمشواش والليبو وتجسدت صورهم في هذه الوثائق بهذه العلامات والرموز علي جدران المقابر والمعابد لأولئك الملوك القدماء، واستمرت معهم خلال فترات زمنية متلاحقة، فقبيلة والأوسخيزاى حلت محل قبيلة الليبو في منطقة قورينى، والأدورماخيداي التي ذكرت في القرن الخامس ق.م عند هيردوت (Herodotus,IV,169-181) هي امتداد لقبيلة المشواش، وكذلك قبيلة الجلجامي حلت محل قبيلة التمحو أنفسهم، وأيضا تم ذكر مجموعة من القبائل صغيرة الحجم خلال فترات متلاحقة كانت امتداد لتلك القبائل القديمة منها قبيلة الأسبت فكانت امتداد لقبائل الأسبوستاي وكذلك قبائل البكاليس هي امتداد لقبيلة الليبو.

إذاً فأنه يجوز للباحث من خلال ما دون سابقاً أن يفترض منطقياً أن هذه الصفات التي ارتبطت بالقبائل الليبية القديمة تعود في أصلها لتلك النقوش والرسوم التي جسدها الإنسان الليبي القديم في الصحراء الكبرى، وقد عبرت في مضمونها على نوع من السلوك الاجتماعي بدءا يأخذ أسلوب التدرج الواقعي، وانتقل مع القوافل من الجنوب إلى الشمال ليجد له قابلية وتجسيد عند المقيمين في فترات زمنية متلاحقة.

ويجدر القول أيضا بأن هذا الامتداد الاسمي صاحبه امتداد وتشابه في الكثير من العادات والتقاليد والملابس بالإضافة لتصفيف الشعر.(غدير،2016،ص17) وهذه الأشياء توارثت عبر الأجيال حتي إننا نجد بعضها مازال يعمل به حتي هذا العصر (الوشم، الجديلة) مع اختلاف الشكل.

المتوازيات الزمنية بين النقش والرسم

إن عملية تحديد الترتيب الزمني المطلق لم تحل بشكل نهائي، لأنها ترتبط بالكثير من المواضيع منها تحديد الأجناس والسلالات والعوامل المناخية والعلاقات القديمة.(موري، 1979،ص157)

وهذا مما صعب على الباحثين التحدث عن أسبقية النقوش أم الرسوم وبالعكس، أم هم متوازيات، حيث نجدهم جميعا يتفقون على تقسيم الفترات الزمنية لهذه النقوش والرسوم حسب المتغيرات التي ظهرت لهم من خلال البيئة التي عاشها الإنسان القديم، فقد تم تصنيفها منذ البداية وفق أنواع الحيوانات والمواد المستخدمة والأساليب التقنية والمراحل التي ظهرت في كل فترة،(شكل14-15) وذهب البعض لتقسيمها إلى أربعة أدوار تاريخية كان لكل دور فترة زمنية خاصة، وهي بهذا الفن تعتبر من أغنى مناطق الأرض.

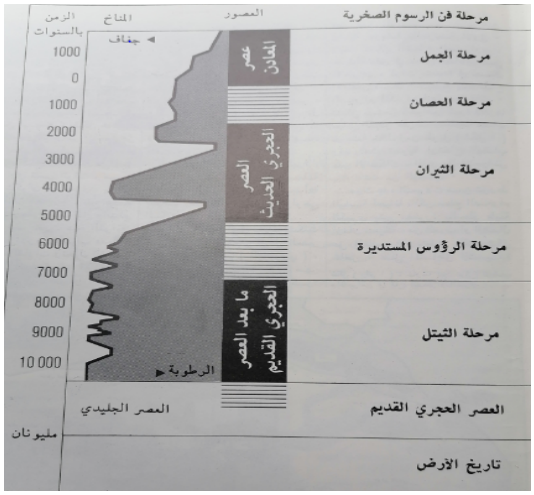

شكل 14 لوحة تبين مراحل الفن الصخري
مقدمة/ الصحراء الكبرى،1979،ص15

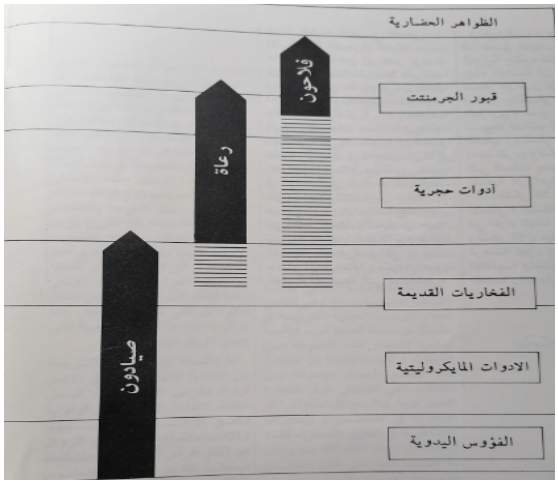

شكل 15لوحة تبين الظواهر الحضارية
مقدمة/ الصحراء الكبرى،1979،ص14

تأسيساً على ذلك، فقد بدءت الفترات الزمنية بتلك المجموعة الحيوانية التي أطلق عليها (الفونة)؛ منها الفيل ووحيد القرن وفرس النهر بالإضافة للجاموس والثيتل القديم التي أُرخ لها بسنة 3500 ق.م. (لوت،1979،ص ص 80-81)

وظهرت جداول الفترات الزمنية لأدوار الفن الصخري في جبال الأكاكاس،(موري، 1979،ص157) وغيره من المواقع لتلخيص المشاكل المتعلقة بالنسبية الكرونولوجية للفنون الصخرية الصحراوية، كانت البداية فيها بدور الحيوانات الكبيرة المتوحشة التي كانت في غالبها نقوشاً مثل البابولوس (يعتقد بأنه الثيتل القديم)، ثم جاء فيما بعد دور الرؤوس المستديرة التي غلب عليها الرسومات، وثالثاً الدور الرعوي الذي ظهرت فيه النقوش والرسوم، ومن ثم ظهر دور الحصان وأيضاً اشتركت فيه النقوش والرسوم، والدور الأخير كان بظهور الجمل الذي ارتبط بالنقوش والرسوم كذلك.(موري،1988، ص 37)

وتنطوي وجهة النظر في استخلاص أن الإنسان القديم الذي عاش في الدور الأول (الحيوانات المتوحشة) كان الغالب عليه طابع النقوش، فقد جسد تلك الحيوانات التي عاش معها في نفس البيئة بنقشها علي الحجارة التي كانت موجودة، وبتلك الأدوات البدائية التي كان يستعملها في حياته اليومية.

واستكمالا لذلك فإن الدور الثاني (الرؤوس المستديرة) كان يغلب عليه طابع الرسوم أكثر من النقوش، ويجدر القول هنا بأن الأدوار سابقة الذكر لم تكن متوازيات في النقش والرسم والفترات الزمنية.

على العكس مما سبق ذكره، نجد أن الأدوار الثلاثة التالية (الرعوي، الحصان، الجمل) تشترك في طابع واحد، إذ ظهرت النقوش والرسوم مشتركة في المكان والزمان، وبذلك تعتبر متوازيات من حيث النقش والرسم ومتتابعات من حيث الفترات الزمنية.

كما يتضح كذلك أن هناك نقصاً واضحاً للقدرات الفنية عند إنسان ذلك الزمان (الأدوار الثلاثة) من خلال الكشف عن الطبقات المتتالية، وقد أُرجع ذلك للتدهور في الشعور الشعوذي الذي مارسه ذلك الإنسان، بالإضافة لعوامل التغير المناخي، وخاصة بعد الدور الرعوي الذي أعقبه فترة من التصحر أجبرت ذلك الإنسان على الهجرة، لأن احوال بيئته تزداد اضطرابا. (موري،1988،ص39) فهاجر من مكان إلى آخر حاملا معه ما مارسه وتعلمه في موقعه الأول إلى الثاني لينقش ويرسم وليجعل من الترابط نقطة انطلاق في أدواره اللاحقة.

الارتباط بين النقش والرسم وفق الأدوار

اقتصرت مجمل المواقع بأراضي فزان بالجنوب الليبي في فنونها القديمة على النقوش، وأن من قام بمثل هذه النقوش هم أقوام كانوا قد وهبوا قدرات فنية رفيعة ومهارة عالية، وبما أن الدور الأول (الحيوانات المتوحشة) كان منقوشاً فإن الدور الثاني (الرؤوس المستديرة) كان مرسوماً، والنتيجة التي يعترف بها في ذلك أن الارتباط لم يكن موجوداً خلال تلك الفترات الزمنية، أما فيما يخص الأدوار الأخيرة(الرعوي، الحصان، الجمل)، فإن الارتباط كان متأصلاً بين النقش والرسم، وهناك العديد من المناظر التي تؤكد هذا الارتباط، وتماشيا مع ما تم ذكره فإن الكهوف التي كان يقطنها الإنسان القديم لم يمتد إليها الرسم في الفترات الزمنية القديمة على الرغم من عمق هذه الكهوف واتساعها وسطوحها المصقولة،(موري،1988،ص-ص 39-40) وبهذا الارتباط الأخير ظهر الدور الحضاري لهذه النقوش والرسوم وكان متأصلا.

النقوش والرسوم الصخرية ودورها الحضاري

إذا ما تحدثنا عن الحضارة في مفهومها العام فهي " ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان الجهد المبذول للوصول لتلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود وسواء أكانت الثمرة مادية أم غير مادية"، (مؤنس،1998،ص13) فما قام به الإنسان القديم من تنوع في النقوش والرسوم الصخرية من حيث الموضوع، وكذلك الأسلوب، فهو يمثل جانب حضاري، وبملاحظة نقوش الدور الأول نجدها تتمثل في حيوانات استوائية وثيران، وهذه الأعمال قد تمثل خصوصية قائمة لهذا الدور، ويرجح بأن مثل هذه المواقع التي مثلت هذا الدور قد استوطن فيها مجموعات سكانية لها أصلها وأسلوبها الخاص ومظاهرها الحضارية.

إن تكرار تلك النقوش والرسوم في مواقع متعددة يوحي بتلك القيمة التراكمية التي استطاع إنسان ذلك الزمان الوصول إليها، وقد يكون ذلك غير مقصود، ويأتي وفق زمن وتاريخ طويل من حياة هذا الإنسان، وعلى الرغم من ذلك، فهي تمثل ثمرة حضارية، جسدت تلك الحياة اليومية التي عاشها، لقد عرف الباحثون منذ الوهلة الأولى التي تم العثور فيها على هذه النقوش والرسوم أن وراءها تاريخاً طويلاً يحكي حياة هذه القبائل، وما تمثله من ماضي حضاري امتزج مع التاريخ وكون صفحة اتضح من خلالها أن هذا الإنسان قد استخدم أدوات وأنية وأحجار وغيرها مما وفرته له الطبيعة. فقد عرف صناعات كثيرة عن طريق

التشظية بالطريقة اللفالوازية كما عرف أيضاً الرؤوس المدببة وصناعات عتيرية انتقلت إلى مناطق الشمال الإفريقي.(سمولا،1979،ص168)

من المهم القول بأن الإنسان القديم لم يقف في جانبه الحضاري على ما أجادت به الطبيعة عليه، إنما عمل على تطوير نفسه وأفكاره حيث توصل لمعرفة حرفة الخزف فصنع منها البراميل الكبيرة والطاسات، والكؤوس الصغيرة وقام بزخرفتها واستخدام الألوان فيها وبنماذج متنوعة شملت مرحلة انتقالية بالنسبة للتطور التقني، وكذلك الأسلوب الفني الذي عرف بالخطوط المنقطة المموجة، كما هو موضح في نقوشه ورسوماته المنتشرة في مواقع إقامته ..(باريش،1979،ص120)

وتدلل الكثير من النقوش والرسوم الصخرية على الحياة الحضارية التي عاشها الليبيين القدماء، منها تلك اللوحة التي عثر عليها في تين لالان باكاكاس، وعليها تصوير لشخصين واقفين تظهر عليهما نفس الملامح البشرية، وكذلك نفس تسريحة الشعر المتزينة بالريشة، وبذلك الجلباب الفضفاض نفسه الذي يعتقد بأنه يشبه البرنس المصور على جدران المقابر في بلاد النيل، عند تمييزهم لليبيين.(عيسى، 2009، ص82)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تلك الرسوم التي ظهرت في وادي إيكي Ekki كانت هي القاعدة التي انطلقت منها وثائق ونصوص بلاد النيل عندما تحدثت عن أوصاف القبائل الليبية، وأصبحت مرتبطة بالجانب الحضاري لهذه القبائل. وتعتبر هذه النقوش والرسوم هي البداية الأولى التي تدل على ظهور الإنسان، الذي أصبح بمرور الزمن يدرك مفهوم الأشياء التي تحيط به من خلال استخدام قدراته الذهنية، التي تعتبر في حد ذاتها عملية حضارية، فملاحظة الظواهر تُعد خطوة أولى في مجال السلم الحضاري، الذي كثيراً ما يتأثر بالبيئة الجغرافية والظروف الطبيعية، وقد تتشابه الكثير من النقوش والرسوم في مواقع متعددة وفترات زمنية معينة وتتحد أيضاً في خصائصها، فقد عمل منذ بدايات حياته علي صنع أشياء أعانته على تيسير سبل حياته فمنحته فرصة الوصول إلى تكوين إطار اجتماعي ومادي بمرور الزمن، ويرى آرنست كاسرو (Arnest Kasro) أن مثل هذا الفن ما هو إلا مظهر من مظاهر الحضارة كاللغة والدين والتاريخ. جسدت فيها ثقافة ذلك الإنسان.

النقوش والرسوم الصخرية والمسألة الثقافية

إن النقوش والرسوم الصخرية ما هي في حقيقة الأمر إلا نتيجة لعوامل نفسية منها الاحساس والإثارة أو إلهام أو انفعال يحدث بين الإنسان والبيئة المحيطة به، فيعمل على ترجمة هذه المؤثرات إلى أعمال فنية تعكس ذلك الواقع الذي يعيش فيه، فالنقش الخفيف أو العميق ولون الدهان المستخدم وأيضاً أبعاد صورة الموقف الموضح من البيئة كلها تمثل مراحل خلق وعناصر أساسية وتدل على مقدرة تقنية كبيرة تمثل الجانب الثقافي عند ذلك الإنسان. (موري،1988،ص256)

من المهم القول، بأن ما أنتجه الإنسان في الصحراء الكبرى خلال مراحل حياته من نقوش ورسوم كانت تنطلق من الواقع، لتنتهي به إلى عالم اللاواقع حين نشاهد حركاته التعبدية واقنعتها السحرية. وعلى الرغم من اختلاف الأدوار التي تم الكشف عنها من حيث الفترة الزمنية، إلا أن السلوك الثقافي كان موحداً، فقد أظهرت المكتشفات الأثرية عن طريق الكربون 14 المشع والفحم الخشبي وغبار القدم خلال المرحلة الوسطى من الترتيب الزمني في مناطق عوان تيلوكات(Uan Telocat)، وفزيغيارين (Fozzigiaren)، وعون موهوغياك (Uan Muhuggiag) معرفة ذلك الإنسان للخزف المزخرف وأيضاً

أحجار المقالع وجلود الحيوانات، (موري،1979،ص158) ويمثل في حد ذاته مرحلة تطور حضاري امتزج فيه الجانب الثقافي .

إن ما يحتويه الدور الأول من نقوش جسدت الحيوانات المتوحشة، التي عاشت مع ذلك الإنسان نجدها بعد زمن مجسدة في رسوم الأدوار الأخرى وفي مواقع مختلفة، بالإضافة لذلك فإن ما وجد من الرسوم في الأدوار التالية كانت في معظمها تتشابه في سلوكها الثقافي، فمنها ما يدل على الرقص، ومنها في حالات عقائدية، ومنها السحرية، كذلك وجود توحد في استخدام الألوان خلال الأدوار متأخرة، فما وجد من ألواح في الكثير من المواقع علي امتداد الصحراء من تاسيلي مرور بجبال الأكاكاس حتي الجلف الكبير(شكل16) يعبر عن سلوك ثقافي موحد.

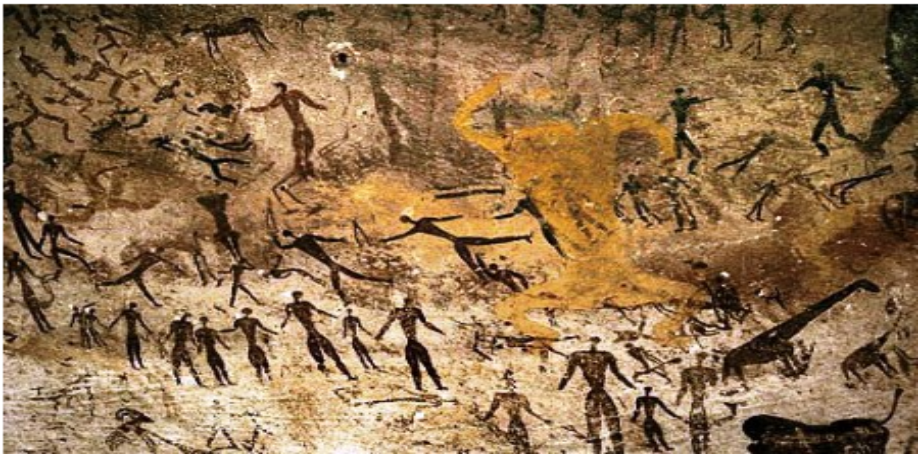

شكل 16 محمية الجلف الكبير عن/ https://elaph.com/Web/Environment/2011/9/681310.html
تاريخ الاطلاع 2022/8/27 م الساعة 6:14

وإذا ما شاهدنا تلك المناظر التي وجدت في وان أميل(Uan Amil) وهي ترسم لنا الحياة التي كان يعيشها الإنسان القديم نجد فيها ظهور لبعض العادات والتقاليد التي مورست من تلك النسوة وهن يسرحن شعورهن(شكل17) ويسبغهن بأصباغ معينة، وهذا أن دل على شيء إنما يدل علي

شكل 17 رسومات تمثل مظاهر الحياة في تادارات الأكاكاس عن/ www.alarab.net

تلك الثقافة التي وصلت إليها النسوة من خلال المحافظة على نظافتهن وزينتهن في تلك الفترة الزمنية، كذلك وجود تلك المناظر التي يظهر فيها مجموعة من الرجال وهم يحملون أقواس وسهام الصيد، وهذا يمثل ثقافة الصيد عند أولئك الناس ويعرفنا بأنهم قد وصلوا إلى مراحل متقدمة حين عرفوا صناعة القوس والسهم.(موري،1988،ص185)

من المرجح أن من صور هذه المشاهد على تلك الجدران والمسطحات له أسبابه الجمالية، التي تدعوه لبعث السرور في نفس كل من يشاهدها أو نيله لحافز كان موجوداً لديهم في تلك الأزمنة، كما أن ما كان يواجهه الإنسان القديم من مشاكل تمثلت في الصيد والتناسل والموت جعلت له عالمه وثقافته الخاصة.(ويللارد،1967،ص ص41-46)

إن ما وجد من نقوش ورسوم صخرية في الصحراء الكبرى وما شابها في شمال إفريقيا في فترات متتالية يدعو إلى الاعتقاد بأن لهذه القبائل جذورها التاريخية المتأصلة التي ذكرت في الكثير من كتابات المؤرخين على مر الفترات التاريخية المتتالية.

الخاتمة

ظهرت نتائج هذا البحث بوجود تلك الشواهد التي دلت على تواجد الإنسان في الكثير من المواقع بالصحراء الكبرى وما جاورها خلال دهور طويلة من التاريخ، فكانت تلك النقوش والرسوم تحكي عن تلك الحياة التي عاشها الإنسان، وأظهرت تلك المظاهر الحضارية التي مارسها خلال مدة بقائه فيها، وبالاطلاع علي تلك الشواهد وما نتج عنها من معلومات فيما بعد جاءت وفق تفسيرات وآراء الكثير من الرحالة والمؤرخين جعلت الباحث يدرك مدى أهمية تلك التفسيرات وتعدد الآراء، وما يدور حول العلامات والرموز التي اقترنت بالقبائل الليبية القديمة فخلص للعديد من النتائج كانت على النحو التالي:-

أ- رصد هذه العلامات والرموز والتدقيق فيها يبرز حقيقة ارتباطها بالقبائل الليبية القديمة.

ب- وضوح العلاقة بين تلك المعطيات القديمة (العلامات والرموز) وما ظهر في وثائق ونصوص بلاد النيل فيما بعد فأصبحت صفات ملازمة للقبائل الليبية.

ت- تجاوزت هذه النقوش والرسوم الصخرية الرؤية المكانية في الصحراء الكبرى لتتغلغل في وثائق ونصوص بلاد النيل.

ث- الكثير من النقوش والرسوم وتفسيراتها مازالت تحتاج للمداولة بين المتخصصين.

ج- استخدام الإنسان القديم في مواقع إقامته العديد من الأدوات البدائية في نقشه ورسمه على الجدران والمسطحات والتي مثلت مختلف الادوار.

ح- جسدت هذه النقوش والرسوم نماذج من فكر الإنسان الليبي القديم.

خ- أظهرت النقوش والرسوم تطور عقلية ذلك الإنسان خلال مراحل حياته الطويلة.

المصادر والمراجع

المصادر

Herodotus. The Persian Wars, Volume IV: Books 8-9. Translated by A. D. Godley. Loeb Classical Library 120. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1925.

المراجع العربية والمعربة والدوريات

1) باريش، باربارا (1979) حفريات جديدة في جبل الأكاكاس، ت/ مكاييل محرز، الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية.
2) بازامة، محمد مصطفى (1975) ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، منشورات مكتبة قورينا، ط2.
3) جراتسيوسي باول(2008) دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، ت/إبراهيم أحمد أمحمد، منشورات جامعة قاريونس. بنغازي . محظور
4) سمولا، غونتر (1979) الصحراء الكبرى الممتدة بين إفريقيا السمراء والعالم القديم، الصحراء الكبرى، ت/ مكاييل محرز، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
5) عيسى، محمد علي(2009) الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، دار الأصالة، ليبيا .
6) عيسى، محمد علي(2012) مواقع أثرية ليبية ترجع لعصور ما قبل التاريخ، مجلة أفاق أثرية، ج2، العدد 10، السنة الأولى.
7) غدير، على كسار (2016) القبائل الليبية القديمة وعلاقتها مع الشعوب المجاورة لها، جامعة كربلاء، المكتبة المجانية.
8) الفقي، عزالدين أحمد(2010) الفن الصخري في عصور ما قبل التاريخ في المنطقة الشمالية الغربية من ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية، طرابلس، ليبيا.
9) لوت، هنري (1979) الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى، ت/ مكاييل محرز، الصحراء الكبرى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .
10) موري، فابر يتشيو(1988) إشارة إلى الاستكشافات وأهم مراكز الفن الصخري، ت/ عمر الباروني، فؤاد الكعبازي. منشورات مركز دارسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.
11) موري، فابر يتشيو(1979) حول تأريخ الرسوم الصخرية في الصحراء الكبرى، الصحراء الكبرى، ت/ مكاييل محرز، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
12) مؤنس، حسن(1998) الحضارة ، ط2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت.
13) نوتن، فرانسيس فان (1979) اكتشاف رسوم صخرية جديدة في جبل العوينات، ت/ عماد الدين غانم، الصحراء الكبرى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
14) وينتر، ديفيد (2015) ليبيا أرض الأساطير والشياطين،History of Libya ت/أنس بوميس، اكتوبر.
15) ويللارد،جيمس(1967)الصحراء الكبرى، ط1، مكتبة الفرجاني.

1) - M. Cremaschi, and S. Di Lernia,(1999) Holocene Climatic Changes and Cultural Dynamics in the Libyan Sahara ,African Archaeological Review, Vol. 16, No. 4.

2) - Oric Bates, (1914)The Eastern Libyans, Macmillan and co, Limited st. Martin's Street,London.